الطبعة الثالثة

فايز الكندري

محرقة الحسنات

قطعة من كتاب

البلاء الشديد والميلاد الجديد

أربعة عشر عاما في غوانتانامو

مركز طروس للنشر والتوزيع
متخصصون في دراسات الشرق الأوسط

محرقة الحسنات:

أكثر المعتقلين يتحاشون التعامل مع النساء عموماً إلا في حالات الضرورة كأن يكون الجنود خبثاء فيضطر للتعامل معهن، وقد يكون الأمر مقصوداً من الإدارة لدفع المعتقلين إلى الإكثار من التعامل معهن لبناء علاقة مع الأيام قد تساعدهم في اختراق الجدار الإيماني الذي يحول بينهم وبين تحقيق أهدافهم.

أَدْرَكَتْ إدارةُ المعتقل أن المرأة أقدر دائماً على الوصول إلى ما لا يستطيع الرجل الوصول إليه، فاستخدمت العنصر النسائي في برنامجها لترويض المعتقلين، وتتعمد أحيانا الإتيان بجنديات حسناوات يقمن بحراسة المعتقلين ومحاولة إغوائهم، وعند التقييد كن يتعمدن الاحتكاك بأجساد المعتقلين ويلامسنهم بمواضع حساسة من أجسادهن، في جو متوتر مقلق مشحون بالشهوة، قد غرز الشيطان فيها رايته ونادى الجميع: هل من مبارز؟

لم تستخدم النساء اعتباطاً بل بطريقة مدروسة تدريجياً، كانوا يأتون للمعتقل بمجلة جنسية فإذا رفض المعتقل جاؤوا بمجلة أخرى أقل قليلا، فإذا رفض جاؤوه بمجلة فيها رسوم جنسية وليست صوراً، وإذا رفض جاؤوا بمجلة فيها صور تماثيل منحوتة جنسية، كانوا يوزعون علينا روايات الحب والغرام ليروا من هو المهيأ للانتقال به إلى الخطوة التالية، لقد كانوا موقنين أننا سنستسلم في النهاية لأن قطرة المطر لا تفتت الصخرة بالعنف بل بالتكرار!

كان للمحققين استقلالية نوعاً ما في قراراتهم عن إدارة المعتقل، فإدارة المعتقل تابعة للجيش أو للبحرية غالباً، أما المحققون فتابعون لـ (CIA) والـ (FBI) والـ (NSA)

واستخبارات الجيش، كل فرقة منهم تحاول أن تثبت نجاحها باستخراج المعلومات أو النجاح بالتجنيد، وصل التنافس بينهم أحياناً إلى حد العداء والحسد، كنت أرى عميل الـ (CIA) وهو يصف استخبارات الجيش بأنهم أغبياء، بينما يصفهم استخبارات الجيش بأنهم مدللون يقطفون ثمار ما تعبوا هم في زراعته.

كثَّف الأمريكان استخدام العنصر النسائي في التحقيقات، تَغَنَّجَتْ محققة مع أحد المعتقلين فلم يُجْدِ نفعاً، فوضعت مُرَطِّباً في يدها، ثم أدخلت يدها تحت قميص المعتقل المقيد وأخذت تدلكه بطريقة جنسية لتستثيره، بصق المعتقل عليها فضربه الجنود وكسروا سِنَّه.

معتقل آخر حاولت المحققة إغواءه فلم تنجح، فأدخلت يدها داخل سروالها الداخلي ثم أخرجت دم الحيض ومسحت به وجهه ورأسه.

كنا في المعسكر الرابع حيث يُكَثَّف استغلالُ العنصر النسائي في الإغواء، جاءني معتقل في مقتبل العمر، نظر إلي نظرة متعبة مرهَقَة تشي بصراع مرير بين غريزته الطبيعية ومبادئه الإيمانية، ثم قال لي كأنه يجر الكلام جراً: تعبت!

: ما لك؟

: طلبت الجندية مني إعطاءها المكنسة بعد أن انتهيت من التنظيف، ناولتُها الأغراض فَمَسَحَتْ على يدي مسحة حانية ثم نظرت إلي بابتسامة تحمل ألف معنى.

أطلق تنهيدة طويلة متعبة، لقد ضاق بالإغراء المستمر يوماً بعد يوم، أصبحت الجنديات يقطعن العنبر ذهاباً وإياباً كحركة البندول الدؤوبة دون توقف، همسات ناعمة، نظرات ناعسة، تغنج مثير يوقظ العين الطامحة ويستدعي الشهوة المختبئة في أعماق النفس، هاربة من الجاذبية التي تدعوها إلى التمرد على الفضيلة وهدم أسوار البيوت ليتحول فراش الزوجية الطاهر إلى مرعى مباح لكل سائمة، إنْ صَبَرَ اليوم فلن يستطيع غداً، وإن غض طرفه غداً فسيعجز بعد غد، كم صورة خليعة في اليوم الواحد تتراقص أمام العين العطشى وفي ميدان القلب تستعر حرب ضروس.

كانوا يطبقون تكتيكاً شيطانياً يستخدم الحرير بدل الحديد، ومن ذا الذي يزعم أن مفاتن المرأة نوع من التعذيب؟! إنه السقوط دون أن يخلف وراءه أي أثر للتعذيب، كانت قطرات الشهوة تنزل على صخرة الإيمان فلا تزال به قطرة قطرة، نظرة نظرة، حتى تفتت صخرته، من يستطيع أن يغض قلبه كما يغض طرفه عن هذا الجنس المسعور الذي يسيل لعابه على أفئدة تتوقد ثورة؟

تستهويه وتغويه حتى إذا تمكن حبها في قلبه تَمَنَّعَتْ ليتملكه حب مجنون يقلبه بين يدي الغرام والهيام، ولقد رأيت من كان يُعَنِّفُ على النظرة وإذا به في لجة اليم قد انكسر مجدافه وانخرق قاربه حتى تجاوز غض البصر إلى إطلاق البصر ومن إطلاقه إلى مده، ومن النظر إلى اللمس، ومنه إلى. . .، وتحول سمته طيشاً ومروءته اسْتِمْراءً للخوارم، حتى أصبح في حال غيابها يظل ينظر إلى صورتها في خياله المتمرد، كان يحفظ القرآن، كم هو محزن أن أصدر الجملة السابقة بكلمة (كان)!

لقد وعظني حاله أيما موعظة، جعلتني أتعامل مع إيماني تعامل الغلام مع عصفور في يده يخشى إن أرخى كفه في لحظة غفلة رفرف بعيداً بلا رجعة!

فكم غارق في مستنقع الرذيلة حتى قيل هلك فتسلل إلى مسامعه في اللحظة الأخيرة نور الله فانتفضت في قلبه بذرة تحمل في داخلها سعادته، وكم ممن حفظ القرآن وتعلم العلم وظهرت عليه بشاشته حتى قيل فاز وإذا بخبيئة كامنة في دهاليز قلبه أردته صريعاً مضرجاً بدمائه.

قال لي: لقد تعبت.

نظرت في عينيه فرأيت فيهما معركة محتدمة حامية الوطيس، ارتفع فيها الغبار فلم أعرف من المنتصر.

قال وهو ينظر إلي نظرة حائرة: أنا مؤمن بما أعده الله للمؤمنين هناك لكني لا أقوى على رؤية ما وراء الصورة الماثلة أمامي!

نظرت إليه مشفقاً حين ألغى آخر كلامه أوله، وهل الإيمان إلا رؤية ما وراء الصورة الماثلة أمامنا؟ ما الإيمان إلا أن أترك الحلوى التي أراها للمائدة التي وعدنيها أبي غداً، ما الإيمان إلا أن يقف الطفل على حافة جرف فيرى أباه أسفله ماداً إليه يديه مبتسماً فيقذف بنفسه بين يديه ثقة بوالده الرحيم الذي لن يتركه يهوي في وادي الهلاك.

كان جلياً أنه قد بلغ الغاية في العطش وأنه مهما بلغت كلمات الوعظ من البلاغة والفصاحة فلن تحول بينه وبين كأس العيون يروي بها ظمأه، ولكي تحيا الكلمة لابد أن تزرع بذرتها بعيداً عن العواصف التي تجعل فرص بقائها تتضاءل، إن الفصاحة والبلاغة في هذه المواقف تقف عاجزة عن تقييد ذلك المارد الذي يريد كسر قمقمه لينطلق إلى فضاء الشهوة ينغمس فيها انغماساً، الكلمات البليغة والقصص العاطفية تدغدغ الأسماع لكنها لا تقوى على بعث الروح الميتة من لحدها ولا المشلولة من فراشها ما لم يفتح القلب لها بابه، كانت الجندية تمسك المعتقل من ذراعه اليمين وأخرى من اليسار ثم

تميل قريباً من أذنه ليهيئ دفء أنفاسها مخدعاً تتعانق فيه همس كلماتها ويقبل بعضها بعضاً، وعين الشهوة عمياء لا ترى حقيقة الصورة بل ما رسمه الخيال مدعياً أنها هي، ترى عين ماء في البيداء فإذا اقترب منه تبدى لها سراب وهم ظنت الري فيه، هنا تتجلى عظمة القرآن حين لا يكتفي ببيان مراد الله دون أن يملأ قلب المؤمن بحب الله، إنه لا يأمر القلب بفتح بابه دون أن يكسر أغلاله، إنه لا يأمره قائلاً: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ دون أن يناديه مبشراً: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

وجدت أن الاستغراق في معاني القرآن وجمع النفس على مراد الله هي اليد القوية التي تطرق باب القلب ولها يفتح، إن كلمات القرآن ليست ككل الكلمات، إنك حين تضعه بين يديك وتصرف عنك شواغل الأرض وتخلو به.. به وحده.. دون أي شريك ينافسه فيك، تتحول كلماته إلى نور يتغلغل في أعماق النفس، وإلى أجنحة ترفرف بك عالياً، ويبدأ إيقاع الموسيقى الصاخبة التي تعزفها الشهوة يتلاشى ويضمحل ويستعيد الإيمان قوته من جديد.

لقد حاول الأمريكان أن يصنعوا من إغراء المرأة سهماً شيطانياً يقتل كل المعاني الملائكية في قلوب الأسرى، ولئن هرب يوسف الصديق من فتنة القصر إلى ظلمة السجن فما يصنع من وضعت فتنة قصره في ضيق أسره؟ وأي فتنة أشق من أن تصرف بصرك عن ألف امرأة تفتح لك صدرها؟

ولله قلوب كنت أراها صامدة شامخة أمام عيون فاتنة ترشقهم بسهام لحظها دون شفقة، ولولا أني رأيتهم بعيني لظننتهم من أساطير القصاص.

قد يحتاط الإنسان من عدو أمامه يتحين منه غرة، لكن ماذا يصنع من أحاط به الأعداء من كل صوب؟ عنف الجنود ولطف الجنديات، مكر المحققين وغدر الخائنين، الحنين إلى الوطن والأحباب، معاناة الأمراض، إذلال السفلة، غرف التحقيق وما أدراك ما غرف التحقيق!

لم تكن مسلخاً للأجساد كما يفعله حمقى الطغاة، بل مختبراً لدراسة نفسيات المعتقلين وتحليل شخصياتهم، قطرة من أنبوب الإثارة الجنسية تخلط مع قطرات الهوان في أنبوب الألم، محقق يرغي ويزبد غاضباً والقيود تعصر عظامك، ثم يخرج لتدخل محققة فاتنة تخفف عنك القيود وتخلصك من آلامك مبتسمة متغنجة في غرفة لا يراك فيها إلا الله!

تذكرت كلاماً لأحد العلماء السابقين يذكر أن الروم عندما كانوا يأسرون المسلمين يجعلون الجواري الحسان يغدين ويرحن عليهم بالطعام والشراب، حتى إذا تمكن حبهن

في قلوبهم لم يُمَكِّنَّه من أنفسهن حتى يترك دينه، وهنا يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

لقد علمتني الأيام أن أفكر بعقلي عند الشهوة، وبقلبي عند التضحية، وبهما في غيرهما، ومهما كرعت من كأس الشهوة سأظل ظمآن أبداً، ولو كان في التنزه في بساتين الحرام خير لرأيت المنغمسين في الحمأة أطيب الناس عيشاً وأهنأهم بالاً، ولتعرفنهم في العيون الزائغة والقلوب التائهة والأرواح المشردة، لقد أيقنت أن الري الأعظم هناك، وأني مهما نلت من متاع الدنيا فإلى الفناء أصير، ومهما تقلبت على فراش الألم فبالموت ينتهي، اللذة والعذاب.. كلاهما سراب، عمري قصير جداً كي أضيعه بالوهم، أخذت أتأمل من بين القضبان ذلك الصقر المحلق في العلاء، لا يرضى النزول إلا مقدار ما يسد جوعته ويبل ريقه ثم يعود ثانية إلى التحليق، إنه لا يقضي يومه في جمع لقيمات الغد من خشاش الأرض لأنه يريد أن يعيش سعادة اليوم في قُدْس السماء، إنما هي لقيمات ثم السمو من جديد، خبت وخسرت إن لم يكن القرآن لي أعظم من جناح الصقر له، لقد سمعته يعظني:

صدقني.. الري الأعظم هناك، إن كان عشاق الأرض تذبل أجسادهم حنيناً إلى صورة اللحم الفاني المختلط بالدم والصديد، فماذا يصنع من هام بالجمال الفاتن لساكنات الخيام في الفردوس؟ إن أجمل حُلَلِكَ تلك التي تتفتق عنها ثمار طوبى وألذ طعامك ذلك الذي تأكله على مائدة الخلد يوم المزيد، وأحلى شرابك ذلك الذي تتذوقه من نهر الكوثر، وأشهى عناقك ذلك الذي يلامس فيه صدرُك صدرَ الحور، وأطيب مجالسك ذلك الذي تجتمع فيه بالأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ضيوفاً على مائدة الرحمن، وأعظم لحظاتك تلك التي تنظر فيها إلى وجه ربك الكريم بلا حجاب، ولا حياة تطيب دون ذلك.

لقد علمت كل هذا وأيقنت به فصوبت نظري نحو الحقيقة وشمرت لها، لكني حين وضعت قدمي على الطريق رآني القرآن تلجلجت، فوبخني: لن يذوق حلاوتي الكاذبون!

حينها أيقنت أن العلم بالحقيقة شيء والعمل بها شيء آخر.

دخلت علي المحققة (ميجن) غرفة التحقيق وهي تمد يدها للمصافحة، اعتذرت بلطف قائلاً: آسف.. ديني ينهاني عن ملامسة النساء الأجانب، لقد أخبرتك بذلك مراراً.

: لماذا أنت متزمت؟ لماذا تتعامل مع المرأة هكذا؟ لماذا لا تصافحني وتكون إنساناً طبيعياً مرناً؟

: اختلاف تصورات، أنا أرى الإنسان الطبيعي هو الذي يحترم الحياة الزوجية ويترفع عن الفوضى الجنسية التي تعيشها البهائم!

: ولماذا خلقت المرأة جميلة إن كانت مأمورة بتغطية هذا الجمال؟

: هل نستطيع أن نعمّم هذا الكلام على كل جسد المرأة؟ كله؟ حين تحمر المرأة شفتيها وتعطر جسدها حاسرة عن مفاتنها للرجال فإنها تقول بكلمات غير مسموعة: انظر إلي كم أنا جميلة، إنها بذلك تتصنع الإغراء وتتكلف التغنج لتستفز في الرجل مخالب الشهوة وأنيابها لإثبات أنوثتها، لكنه حينها سيتحول إلى سارق يسرق بضاعة ليست له، كان له أن يشتري مثلها فأبى إلا السرقة، والرجل السوي لا يرى في جمال جسد المرأة سوى السرير لكنه يرى في جمال روحها الكون كله، لذلك وجب تغطية السرير ليتجلى جمال الكون.

: لماذا تريدونها تسير في خيمة سوداء؟ ما هذا التخلف؟

: ليس بأكثر تخلفاً من إلزام الجنود والجنديات بلباس عسكري موحد ثخين تفوح منه روائحهم النتنة في هذا الحر الشديد! إن هدف الالتزام بالحجاب أنبل من هدف الالتزام بالملابس العسكرية.

قالت وهي تكظم غيظها: إنه القانون.

: وكذلك نحن نلتزم بقانون الله الذي ما شرعه إلا للحفاظ على طهرية الحياة الأسرية من بركان الجنس الذي إذا ثار دمر.

: ما الدليل أنه قانون الله؟ هل رأيته يكتبه لكم؟

: وما الدليل أن قانونكم العظيم لملابسكم المعطرة صحيح؟ هل رأيت المشرعين يوقعون عليه بنفسك؟

: لا ولكن..

: هناك آلية تعرفين من خلالها ثبوت القانون من عدمه، الاستهزاء بالحكم قبل البحث المتجرد عن ثبوته يعد حماقة، كمن يستهزئ بقانون المرور منكراً له، لكنه سيدفع ثمن استهزائه عند تسديد الفواتير، الذي يخضع لقانون وضعه إنسان عار عليه أن ينكر على من يخضع لقانون الله.

: لكنك لست الله!

: كما أن الجنرال ليس القانون! رجاء لا تستخدمي معي هذه المغالطات التي لا تنطلي إلا على المغفلين، تريدون قطع الصلة بين السماء والأرض بقولكم: أنت لست الله! بالتأكيد أنا لست الله، ولا أتحدث باسمه، لكن ثبت عندي بالدليل العقلي

وجود الخالق وصدق النبوة وثبوت الرسالة التي تضمنت ما يريده الخالق منا، ومنها الحجاب، فإن أردت النقاش فيها فعلت.

: لا حاجة لي بذلك فقد تكلمنا فيها مراراً، ما المشكلة في الحرية الجنسية؟ اترك عنك خرافاتك المتخلفة وانظر إلى الحياة كم هي جميلة، لِمَ تحرم نفسك من المتعة لتراث مغبر ألغى العقل؟

ثم أخذت تتثنى وهي تخلل شعرها بأصابعها قائلة: أنا أجمل أم الحور العين؟؟ أحسست أن ما خلته في صدري ثابتاً بدأ يذوب في وهن، ثم أطلقت ضحكات ناعمة خلتها تتحطم ببعضها كتكسر البلور، شعرت بشيء في قلبي بدأ يستيقظ، فإذا بضحكاتها تنقلب في مسمعي كفحيح الحية، وأصبحت لا أرى أمامي إلا وعاء جلدياً يغطي ما لو ظهر لساء كل عين، تبذل كل جهد لتجميله ويأبى إلا أن يفرز ما يشين!

تذكرت ذلك المحقق الذي سألني وهو يبتسم بخبث: من تفضل من النساء؟ الشقراء الغيداء أم الحنطاوية الحسناء؟ القشطة أم النوتيلا؟ كلها متوفرة! أم أنك من عشاق الحور؟

ارتجت الغرفة الباردة بضحكته التي لا تقل برودة عنها، لقد كانوا يستهزئون بشوقنا إلى الحور العين، لأن ذلك الشوق يجعلنا أوفياء للحب الطاهر أمام ذلك اللحم العاري الرخيص الذي نراه كل لحظة، عندما تريد الرذيلة إقناع الآخرين بها فإنها تسب الحب العفيف وتستهزئ بالخلق الطاهر، ثم تملكتني الدهشة حين قال لي هو نفسه بعد أيام: ما بالكم تكثرون الحديث عن الحور العين؟ ما هذا التفكير الجنسي المسيطر عليكم؟!

كم هو مثير للسخرية حين نرى من يقضي لياليه الحمراء تسكب العاهرات على رأسه كؤوس الخمر ثم يصبح واصفاً الشوق إلى الحور بالانحطاط الجنسي!

قال لي أحد المحققين في السنين الأولى من الأسر: سنصنع نادياً ليلياً في كل بيت ثم نودعها في كل جيب!

لم أفهم ما قاله حينها، لكني قلت له: زرع الله لا تحصده المناجل، حين فشلتم في الإقناع لجأتم إلى الإغواء، أنتم فاشلون وستظلون كذلك لأنكم تريدون تغطية نور الشمس بمنخل.

كان ينظر إلي بحنق بالغ، ثم ازداد حنقاً حين قلت: قد تنجح في إقامة النادي الليلي في كل جيب لكنه سرعان ما يتحول إلى مسجد تقام فيه الصلاة حين يصحو القلب من سكرته، عندما حكم جمال عبد الناصر نشر العري والتفسخ في كل العالم العربي، وتوالت ضربات الانحلال وترنحت القلوب وتساقط المتساقطون سكارى بنشوة

الحرام يقرعون كؤوس الغواية مع الشيطان، يحاول بعضهم النهوض فتخونهم قواهم الخائرة ليسقطوا في ثقل من جديد، حتى ظن البسطاء أن العفة تحتضر، وما هي إلا جولة حتى رجع الناس إلى دين الله أفواجاً.

لقد كانت حسناء متغنجة متدللة إن وجدت معتقلاً يجلس وحده أقبلت عليه بوجه مبتسم فإن آنست تجاوباً وإلا تخالسه النظرة بعد النظرة، كانت تتفقد المعتقلين تفقد اللبؤة لفريستها، كانت في حقيقتها لبؤة لكنها لم تكن في أعيننا كذلك، بل كانت ظبية شاردة فضولية تريد التعرف على هؤلاء الغرباء الذين ثرثر حولهم العالم كله، كانت صورتها تتبدل، فإن قوي إيمان الأسير رآها لبؤة وإن ضعف برزت أمامه ظبية عيناء تسر الناظرين.

كانت ترسل شواظ نظراتها أحياناً فتعمل كلهب يذيب في القلوب معدن الإيمان، ومرة تلقي نظرة المحب للحبيب، وأخرى تمارس مع المعتقل أسلوب الشد والإرخاء، فتغضي طرفها عنه تارة وتربكه بنظرتها المترددة تارة، وتارة تتوالى نظراتها كقطرات الندى التي تتابع على الصخرة حتى تفلقها، وحين تجد عيناً قد ضعفت يد الإيمان عن إلجامها بادلته نظرة ناعمة متسائلة عن سبب التحديق بها، لكن ابتسامتها الهادئة حولت السؤال إلى إقرار ودعوة للاستمرار، كانت تمسك قارورة الماء فتتصنع الشرب بهيئة تحول القارورة إلى عاشق تداعبه بلسانها وشفتيها وتحول الماء إلى شهوة تسري فى جسدها وجسد من وقعت عينه في فخ عينيها، ثم تضم القارورة إليها ضمة تحمل ألف معنى مودع في كتاب يضيع القارئ بين سطوره، ويتجسد الشيطان بالقارورة داعياً هذا المتعب ليأخذ مكانه قبل أن يذوب بين يديها، ثم يتولى ساخراً من هذا الذي توهم الحب في قلب حقود واللذة في كية نار والشفاء في سم ناقع.

كانت تتبختر في العنبر للمراقبة بينما كان لسان حالها يقول: راقبوني! ثم تنصرف وقد تركت بعدها قلباً يتوجع وصدراً يتنهد وروحاً تضطرب ونفساً ترتعش وأحشاء تستعر بنار لا ترى، فإن استفاق أسرع فى صب ماء التوبة والاستغفار على تلك النار الملتهبة التي تحيل خضرة الإيمان هشيماً متحطماً يعلوه الرهق.

أسميتها (محرقة الحسنات) فتداول المعتقلون الاسم بينهم حين رأوه يذكرهم بحقيقتها، ما أجهلنا حين ننتزع حظنا من ترانيم السحر أو تراتيل الوحي أو ظمأ الهواجر ثم نقذفها حطباً في نار عينيها!

يا له من خسران حين تبذل مدخرات العمر مقابل رؤية بوظة مثلجة عن قريب ستسيح في الأرض!

لقد كانت تجلس أمامهم في نفس المكان، لم يكن مهرب من الوقوع في فخها ولو عن غير قصد، التفاتة هنا، التفاتة هناك، نظرة طائشة تفلت من لجامها حين تسمع صوتها، وما يزيد الأمر صعوبة أنك تحتاج لمحادثتها في طلب حاجاتك كالطعام أو قارورة الماء أو صابونة أو كوب بلاستيك، ثمانية أشخاص في العنبر، مع كل طلب تسمع صوتها يرن ولو أوتيت قوة في الصمود فإن مجموع النظرات الطائشة الفجائية البريئة قد تكون أحياناً عشرات، كل منها سهم جارح وإن لم يكن آثماً، إن اجتهد في غض بصره أرهف سمعه، وإن ألهى عنها نفسه تسللت همساتها المتكسرة لِتُحَوِّلَ بابَ أُذُنِه المُشْرَعَ إلى عين مبصرة تَرى ما لا يُرى، وإن حول مكانه كي لا يراها وقفت أمامه مبتسمة، فإن ولى ظهره باب الزنزانة قفزت صورتها عارية في خياله المرهق!

رحماك ربي بهذا القلب المتوجع الذي تتبدد منه أنوار القرآن وهو يقرؤه من أوله إلى آخره مائة مرة بينما ترسخ في مرآة قلبه صورة فاتنة لم يرها إلا مرة واحدة.